الهرمنيوطيقا:
المفهوم والتحولات الكبرى لمسارها في الفكر الغربي

الطالبة الدكتورة: قريري ربيعة
مخبر الدراسات العقدية ومقارنة الأديان
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: قسنطينة

مقدمة:

تعدُّ قراءة النّص وتأويله من الإشكالات المهيمنة على الفكر النّقدي والفلسفي المعاصر، وتبرز الهرمنيوطيقا كقطب نقدي يحاول أنّ يدلو بدوله في عالم: الأدب والتاريخ والفلسفة والدّين، وهي ليست بآلية حديثة العهد بل تعد من أقدم آليات قراءة النّصوص باعتمادها التأويل أساس ومبدأ، فقضايا التأويل، تؤسس بشكل رئيس حول "**مساءلة المصطلح**" في أصوله المعرفية لغرض الحفر في آثاره التي تسبق كل معرفة باعتبارها الأصل، فتحديد وضبط أصل "الهرمينوطيقا" ليس بالأمر الهين سواء في أصوله الأولى، فالمصطلح يرتبط ارتباطا وثيقا بالمحضن المعرفي الذي ينشأ فيه ويعمل على توجيهه، وضبط مساراته داخل أنظمة الثقافة التي ينحدر منها، وكذلك ارتباطه بمجالات عدّة ك: الأدب والفلسفة واللاّهوت، ما يجعل من تتبع مصطلح "**الهرمينوطيقا**" في ترحاله، ومراحل تطوره ونضوجه ضرورة ملحة، للوصول إلى صورة متكاملة حول هذا المنهج الجديد، الذي اعتنى منذ البداية بسؤال الفهم، وعليه جاءت الإشكالية الكبرى لورقتنا هذه على النّسق التالي: **ماهي التقعيدات المفاهيمية**

للهرمنيوطيقا عبر تاريخها الفكري والفلسفي الأوروبي؟وتفرع عن سؤالنا الرئيس هذا أسئلة فرعية أهمها: ما هو الأصل الاشتقاقي لهذه الكلمة؟ وهل لها جذور وأصول في التاريخ الإنساني بمختلف مراحله؟.

المبحث الأول: ضبط المفاهيم والمصطلحات.

1.مفهوم الهرمنيوطيقا: (herméneutique)

-الهرمينوطيقا كلمة ذات أصل يوناني مشتقة من الفعل "hermeneuin"، بمعنى" أول-فسر"، ومن الاسم"hermeneutics" كذلك تدل على ذات المعنى: التأويل والتفسير[1]، فالبحث في المعنى الاشتقاقي للكلمة يوصلنا لمعنى الشرح والإفهام.

وهي بالنظر إلى أصلها الاشتقاقي تعود إلى اللفظة اليونانية "**هرمس**" Hermenus[2]، التي تعني المفسر أو الشارح، وتأكد بعض المصادر أن أرسطو قد عنون بها إحدى رسائله في باب التفسير :Petri-Hermencias[3]، هنا نلاحظ المسحة الأسطورية والدينية التي صبغ بها المصطلح والذي صار أحد المرادفات الهامة للفكر الفلسفي اليوناني القديم.

ويرى أندري لالاند (André Lalande) : إنّها تأويل نصوص فلسفية أو دّينية وبنحو خاص الكتاب المقدس(الشرح المقدس) وتطلق هذه الكلمة خصوصا على ماهو رمزي[4]، وعليه فإنّ تعريفه خصّ وظيفة المصطلح بشرح النصوص الفكرية وتحديدا الدّينية.

---

1 -Richard E_ Palmer : Herméneutique(Usa :North westen universty press,1969) , p12.

2 -هو رسول آلهة الأولمب ، الذي كان بحسب وظيفته يتقن لغة الآلهة ويترجم مقاصدهم إلى بني البشر ،فهناك صلة اتيمولوجية بين خصائص الهرمينوطيقا والإله هرمس، فالهرمينوطيقيا هرمسية قلبا وقالبا، من حيث انها "فن الفهم وتأويل النصوص، أنظر: عادل مصطفى: فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا، ط1(القاهرة: رؤية للنشر ،2007م)ص26،25.

3-أحمد الواعظي: ماهية الهرمينوطيقا، مجلة المحجة، لبنان، بيروت، العدد:6،2003،ص13.

4 -André Lalande : vocabulaire technique et critique de la philosophie, vol1, edition 6(quadrige, press universitaire de France,1988)p412.

وهي كما حددها ""غادامير" Gadamer أنّها: حل إشكالية الفهم بحصر المعنى، ومحاولة الإحاطة به بواسطة تقنية ما فالمبادئ الهرمينوطيقية تبرز لنا طرق إلى نظرية عامة في الفهم[1]، فهذا التعريف يغلب عليه التفصيل الفلسفي لحقيقة المصطلح ومكانته.

كما أنّ الهرمنيوطيقا تعريب للمصطلح الغربي Herméneutique ويحاول النّقاد العرب إيجاد مقابل عربي لهذا المصطلح، لكنّهم لم يتفقوا على ترجمة واحدة، فمنهم من يصطلح عليه "علم التأويل" ومنهم من يترجمه إلى "نظرية التأويل" ومن الترجمات العربية الأخرى نذكر: فن التأويل، التأويلية، هرمينوتيك، هرمينويس، أمّا المشرق العربي يترجموها إلى أحد هذه المصطلحات: علم التفسير، نظرية التفسير، فنّ النفسير، التفسيرية، ذلك لأنهم يترجمون عن الترجمة الإنجليزية إذ أنّ كلمة Interprétation تعني في الفرنسية "التأويل"، بينما في الإنجليزية تعني التفسير، في المقابل يذهب آخرون إلى استعمال المصطلح معربا بالنّظر إلى كون المصطلحات الأخرى المترجمة لا تفي بدلالة المصطلح في لغته الأصل[2]، نلاحظ التخبط الذي حصل للنّقاد العرب حول تعريب هذا المصطلح بين مترجم من الإنجليزية وآخر مترجم من الأصل الفرنسي وبين محتفظ بالمصطلح الغربي كما هو دون ترجمة.

المبحث الثاني: الأصول الغربية والتطور التاريخي لهذا المصطلح:

1-في العصر اليوناني:

سنحاول في هذا العنصر جاهدين الوقوف على منابع التفكير اليوناني في الفلسفة اليونانية الكلاسيكية، انطلاقا من فرضية وجود فكر هرمينوطيقي في هذه الحقبة، إذ تبرز النّظرة الهرمنيوطيقية في هذه الفلسفة عبر قناتين رئيسيتين هما:

1. التراث الرّمزي كوسيلة لإعطاء التراث الهوميري دلالة معقولة.
2. وسيلة لتفحص دور التأويل والكهانة في العالم الأوسع للدّين اليوناني.

نرى إشتقاق هذا اللفظ Hermeneia مستعمل عند أفلاطون في محاورة(أيون)، الذي يعتبر المؤل الذي يقوم بتلاوة أشعار "**هوميروس**"، من خلال التلاعب بطبقات صوته بتأويل الشاعر الكبير،

1-يورجين هبرماس: الأخلاق والتواصل، ترجمة:أبو النور حمدي حسن ط1(دب: دار التنوير للطباعة،2006)ص 167،168.

2 - عبد الغني بارة: الهرمنيوطيقا والفلسفة،ط1(لبنان: الدر العربية للعلوم ناشرون،2008)،ص85-92.

ما يجعل وظيفته شبيهة بوظيفة "هرمس"[1]، فالتأويل والشرح هي الصفات التي أعطاها أفلاطون لأبرز شخصيات مؤلفه محاكاة لوظيفة هرمس الأسطورية في التاريخ اليوناني القديم.

فأفلاطون يؤكد أن الشعراء مؤولون ووسطاء للآلهة، فالتأويل عنده ما هو إلا تفسير لكلمات الآلهة، فالشارح للمحاورات الأفلاطونية يوضح أن مصطلح الهرمينوطيقيا يعني بشكل عام "محاولة قول شيء ما"[2]

بناء على ما سبق إيراده تضمن الهرمينوطيقا في سياق دّيني مقدس، فالمؤول هو لسان الآلهة، ينقل رسالة ما، وعليه تتكون السلسة الهرمينوطقية من ثلاث حلقات : الشاعر(رسول الآلهة)، والمستمع(المرسل إليه)، والمؤول الذي يلعب دور الوسيط، إذ يظهر لفظ هرمينوطيقا معبرا عن الوحي، وهذه هي مهمة الكاهن أن يقدم تحليلا معقولا للرسائل الإلهية، أي ترجمت معنى الوحي[3]، فهذه هي الخريطة الذهنية لعملية ترجمة كلام الآلهة للبشر عبر الوسيط الشارح.

في المقابل نجد التأويل عند "**أرسطو**" يأخذ منحى مغاير للنظرة الأفلاطونية، فقال بإمكانية التأويل في الكلام بجمله وعباراته وخطبه، من خلال ما أورده في مقالته الثانية من **الأراغون**، التي أسماها في "التأويل"، التي ينظر فيها للعبارة أنّها التجسيد اللغوي للفكر ، فأرسطو لم يحدد معنى التأويل على أنه تتبع دلالات الرموز أو العلامات، فكلمة Hermenia لم تستخدم عند أرسطو إلا في العنوان وليس هو ذلك العلم الذي يعنى بالبحث في الدلالات، بل هو الدلالة عينها[4].

فالتأويل عنده يشير إلى العمل الذي يقوم به الذهن، إذ يضع العبارات التي تتصل بصدق شئ ما أو كذبه، فهو يمثل العملية الأولية للفكر في صياغته لحكم صادق عن شيء ما[5]، فهو عملية داخلية تحدث على مستوى العقل الإنساني.

---

1 – حساين دواجي غالي: الهرمنيوطيقا واتيقيا التخاطب، رسالة دكتوراه منشورة، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم : الفلسفة، وهران، الجزائر، 2013-2012، ص12.

2 – المرجع نفسه، ص12.

3 – حساين دواجي غالي: المرجع السابق،ص12.

4 – المرجع نفسه، ص 23.

5 – المرجع نفسه، ص24.

فأرسطو استخدم هذا المصطلح في منطق القضايا، حيث يجعل الهرمينوطيقا دالة على قضايا العبارة، إشارة إلى ما يحمله اللفظ من دلالة على التفسير، وهو ما يورده "**حسن حنفي**" في قوله: "إنَّ لفظ الهرمينوطيقا لفظ يوناني: بيري –هرمنياس وضعه أرسطو جزء من أجزاء المنطق، ويعني به كما ترجمه قدماء المناطقة "العبارة"، أي قضية العبارة وهو الكتاب الثاني من كتب المنطق بعد كتاب المقولات أي كيف يمكن تفسير العبارة"[1].

وننتقل إلى المفسر اليهودي ذو الثقافة اليونانية، "**فيلون السكندري**"، الذي يعتبر من رواد علم اللاّهوت في فنّ تأويل وترجمة **الكتاب المقدس**، فهو قرأ النّص العبري بعيون الفلاسفة اليونان وأكد أنه يجب في أغلب الأحيان وضع دلالة النّص الحرفية، جانبا لصالح الدلالة الرّمزية[2].

فالنّص بالنسبة له لا يتضمن معنى واحد بل عدّة معان ما أدى به إلى القول بعدم الفرق بين حقيقة الفلسفة اليونانية وحقيقة النّص المقدس، كما تبنى رأي أحبار اليهود بقولهم أنّ كل حرف من النّص الإلهي المقدس له تمييز خاص وملئ بالمعاني العميقة[3]، فموقفه ينُّم عن انبهار بالفلسفة اليونانية السائدة في عصره ومساواة معانيها بعبارات نصه المقدس.

وننتقل إلى الهرمنيوطيقي الأهم في مدرسة الإسكندرية وهو "أوريجين" الذي تعتمد دراساته الإنجيلية على مبدأ: "أنّ الكون ملئ بالرموز وأنّ كل الأشياء لها جانبان ظاهر وواقعي وهو متوفر لدينا جميعا، في مقابل جانب روحي عرفاني معروف فقط للشخص الكامل[4]، ففكره ينهج تقسيم الفهم الفكري البشري إلى مستويين متباينين.

ويلخص قراءته للنّص المقدس في معرض جوابه عن سؤال: ماذا يعني النّص؟ "يحتوي النّص الدّيني على الغموض الأقصى ويتخذ التعبير عنه منحى واحد لا غير هو الرموز وهذه الأخيرة لا يمكن أنّ تفهم بنحو مناسب عندما تؤخذ حرفيا، فالحل يكمن في المقاربة الرمزية لفك الغموض الملفوف

1 – معتصم السيد أحمد : الهرمنيوطيقا في الواقع الإسلامي، ط1(بيروت: دار الهادي،2009) ص20.

2 – دايفيد جاسبر: مقدمة في الهرمنيوطيقا، تر: وجيه قانصو، ط1(الجزائر: الدار العربية للعلوم،2007) ص60.

3 – المصدر نفسه، ص 61.

4 – المصدر نفسه، ص62.

حول النّص[1]، فأوريجين أضفى مسحة الغموض الكامل على النّص الدّيني والتي مفتاحها يكمن في النهج الرّمزي لا غير.

هذه النّمطية التي إرتضاها "**أوريجين**" من شأنها أن تجد روابط بين **العهد القديم** و**العهد الجديد**، على أساس إحتواء النّص على معنيين مختلفين، الأول متاح للعامة، والثاني مبني على إجتهاد وتعمق الخاصة في فهم المعنى الغامض.

في الأخير نلاحظ أن النشاط الهرمونيطيقي بوصفه تفسيرا تمثل في الحضارات الأولى، في محاولة فهم الوجود، وتفسير النصوص ذات الطابع الإلهي الأسطوري المقدس.

2.العصر الوسيط:

تعتبر هذه المرحلة انتقال من مجال التأويل اليوناني إلى مرحلة تشكل اللاّهوت المسيحي بأبرز فروعه التعليلية والتفسيرية **للكتاب المقدس**.

مع تثبيت النّص المقدس الموحى به، أصبح المفسرون معنيون بوضع المعايير والقواعد التي يمكن من خلالها فهم النّص المقدس، حيث كانت المحاور الثلاث التي يدور حولها التفسير هي الالتزام بحقيقة النّص، مغزاه الأخلاقي، دلالته الروحية[2].

يعتبر "**أوغسطين**" اللاّهوتي الأكثر تأثيرا في **الهرمينوطيقا الحديثة**، حيث استلهم منّه كل من "**هايدجر**" "**غادامير**" من أفكاره وآرائه، وصارت فكرته التربة التي زرعت فيها بذور القواعد الهرمينوطيقية.

يقتصر البحث الهرمينوطيقي عند "**أوغسطين**" على الفقرات الغامضة من **الكتاب المقدس** لأجل فهم واستيعاب دلالته المستعصية على الإدراك غير أنّ إتباع قواعد تفسيرية لتفسير النّصوص المقدسة، تعتبر ممارسة غير كافية، بل ينبغي أن يسطع على الإنسان نور من الله يزيل الغموض عن النّصوص، فكل شئ منوط بالواقع الروحي للمفسر[3]، فالعمل التفسيري عند أوغسطين يقتصر على النّصوص المبهمة بمعونة ربانية إذ ليس جهد ذهني بحت.

---

1 – المصدر نفسه، ص62.

2 – محمد شوقي الزين: الإزاحة والاحتمال، دط (الجزائر: الدار العربية للعلوم،2008) ص47.

3 – المرجع نفسه، ص47.

يؤكد "**أوغسطين**" أنّ خلط المعاني الحقيقية بالمجازية المستعارة هو أبرز أسباب الغموض، ويجب الاحتراز منّه عبر الأنوار الإلهية، فهو عمل على وضع حد للإبهام في النّصوص عن طريق البحث عن المناطق المعتمة لتجليتها، فالمشروع الأوغسطيني بمثابة إعادة بعث السؤال –التأويل من جديد، سؤال العقل التأويلي في رحلة البحث عن الحقيقة–المعنى–[1].

ومع "**توما الإكويني**"، تبلور هذا الأسلوب وأصبحت النّصوص الإنجيلية مجرد براهين لابد أن تقرأ حرفيا، فتكريسه للفهم الفلسفي إثباتا منه أنّ الإنجيل هو المصدر الرئيسي للوحي والإلهام، وأخذت القراءات الرمزية تختفي في وجه اللاّهوتي الأكاديمي، في المقابل أخذ المفسرون القروسطيون يملئون النّصوص المقدسة بحواشيهم وتفسيراتهم[2]، فعدّ هذا العصر تفسيري بامتياز بالاستعانة بالبراهين الفلسفية على صحة العقيدة المسيحية.

والتفسير اللاّهوتي **للكتاب المقدس** كان منّصبا على فهم لغة النّص، الأمر الذي جعل استدلالاتهم ترتكز على مباحث الألفاظ والمعاني والبيان "فالواقع أن أيّة مساع علمية لم تكن تبذل لفهم النّصوص، باستثناء مباحث الألفاظ والمعاني والبيان مضافا إلى الافتراضات الواهية، وساد التصور بأنه لا حاجة إلى شئ سواها في هذا الباب، ما جعل **الهرمينوطيقا** تنحو منحى لسانيا تهتم **بفقه اللّغة** لتفسير النّصوص وتوضيح الغموض ورفع اللّبس الذي يسببه قدم المخطوطة، وعليه يصبح **الهرمينوطيقي** عالما لغويا بامتياز يوظف علّمه في تفكيك النّص الديني من أجل بيان الغموض، وهو مالخصه كلام **عبد الكريم شرفي** في مقولته: "إن الهرمينوطيقي مترجم يجعل بفضل معارفه اللّسانية الغامض قابلا للفهم، وذلك باستبدال الكلمة التي لم تعد مفهومة بكلمة أخرى تنتمي إلى الحالة اللّغوية الخاصة بالقارئ الذي يترجم له هذا **الهرمينوطيقي**"[3]،وعليه ضل تصنيف **الهرمينوطيقا** هنا داخل الدراسات الأدبية لا غير.

3.هيرمونيطيقا عصر التنوير:

1 – المرجع نفسه، ص47.

2 – دايفيد جاسبر، المصدر السابق، ص 74.

3 – معتصم السيد أحمد، المرجع السابق، ص22،23.

اختفت سحب العصر الوسيط، وأشرقت شمس عصر التنوير ومدت أشعتها للعالم الأوروبي ثقة في معطيات العقل وترويجا لأفكار الحرية والديموقراطية، وتكسيرا لكل الطابوهات والسلطات التقليدية بمختلف أنواعها، وتعميما لمنهج التجربة، والإلتزام بالموضوعية.

بعد إستيلاء الكنيسة على حق الفهم والتأويل لصالح الطبقة الكهنوتية، جاء القرن السادس عشر مفجرا ما عرف بالإصلاح البروتستانتي ورفض الوساطة البابوية، والتأكيد على وضوح وشفافية الإنجيل، عبر رفض المعنى الرّمزي والباطني الروحي، في مقابل الانتصار لدلالات الإنجيل الحرفية والأخلاقية، فلا حاجة إلى مرجعية أو وصاية، فالنّص يفسر نفسه بنفسه، وهو مرجع ومصدر كل التفاسير[1]، فهذه الثورة الفكرية حملت رياح التغيير على جميع الأصعدة.

بدأت الدراسات اللاّهوتية في الاهتمام الجدي لوضع ضوابط وبخاصة في الأوساط البروتستانتية حيث يقول "**غادامير**":"تلقت الهرمينوطيقا دفعا جديدا بالرجوع إلى حرفية الكتابات المقدسة كما مارسها الإصلاحيون من البروتستانت بدخولهم في جدال مع الكنيسة"[2]، فالحرفية في قراءة وتفسير النّصوص كانت القاعدة الرصينة عليها الهرمنيوطيقا كيانها كما سنرى.

هذا من جهة ومن جهة أخرى أدى الانتعاش الفكري في هذه المرحلة أدى إلى ظهور مصطلح **الهرمنيوطيقا** لأول مرة في القرن السادس عشر على يد اللاهوتي "**ستراسبورجو جوهان كونراد دانهاور**"، حيث ابتكره لتسمية ما يطلق عليه: "فن التأويل"[3]، وتاريخ 1654 اعتبره غادامير المرحلة الفاصلة بين التأويل اللاّهوتي والتأويل القانوني[4]، التحول الطارئ في بنيّة المصطلح.

---

1 – هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل، تر: محمد شوقي الزين،ط2 (الجزائر: منشورات الإختلاف،2006)ص65.
2–المصدر نفسه، ص65.

3 – ريمة عسكراتني: القراءة الهرمنيوطيقية للنص القرآني عند نصر حامد أبو زيد، رسالة دكتوراه منشورة، كلية: أصول الدين، قسم: الكتاب والسنة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر،ص15–20.،استعملت هذه اللّفظة لأول مرة لفظة "الهرمينوطيقا"1654،على يده، واصطلح على هذا العلم التمهيدي اسم "الهرمينوطيقا العامة"،فهو قد أسس اللّوغوس الجديد للهرمينوطيقا في كتابه: "فكرة المفسر الجيد"، وقال بعالميتها من خلال عالمية الحقوق والثيولوجيا والطب، وحاول تأسيس "الحقيقة الهرمينوطيقية"، فتأويلية "دانهاور"،لا تعتد بمصداقية القضية أو المقولة بمقدار بقدر ما يهمها جوهر المعنى بمعزل عن معيار الحقيقة التي يتحلى بها، أنظر حساين دواجي غالي: الهرمينوطيقا واتيقا التخاطب، مرجع سابق،ص32.

4 – هانس غيورغ غادامير، المصدر السابق، ص 65.

فعصر التنوير عمل على تطوير فعال لمفهوم الهرمينوطيقا باتخاذه العقل معيارا، وهو البارز عند "**كلادينوس** ذو النزعة العقلانية، إذ سعى إلى جعل التأويل علما قائما بذاته عبر تقديم تقنية للفهم الصحيح ، وليس عنصر تابع للدراسات اللاهوتية فقط، وتجاوزت نظريته الأبحاث الفيلولوجية، فهو لم يهدف إلى فهم النّص المقدس، بل تأويل وهم كل النّصوص دون خصوصية، انطلاقا من معرفة الأحوال والظروف السائدة، وكذا معرفة مقاصد النّص، وماهو سائد من حس مشترك[1]، هنا نشاهد توسيع النطاق الوظيفي للمصطلح إذ أصبح أكثر شمولية.

عمد **غادامير** إلى التمييز بين آلية العقل في إنتاج النّصوص والروائع ،وبين فنّ التأويل لهذه المنتجات النّظرية والفكرية، فهو يشير كغيره إلى الجانب الغامض من النّصوص، ويضيف أن نشاطه التأويلي يعتمد على النّقد في سبيل إعادة قراءة ونتقيح هذه النّصوص، عليه صارت **الهرمينوطيقا** تتمفصل مع النّقد الذي يعمل على التقييم ليعقبه النشاط الهرمينوطيقي في التفسير والفهم، كما اعتبر بأنّه المبشر "بالتأويلية الرومانسية "إذ عرفت تأويلاته بمفهوم "وجهة النظر" الذي يفسر لماذا نرى الشيء على هذا النحو وليس على نحو آخر، حيث يهدف إلى بناء نظرية حول مفهوم الرأي كوجهة نظر تربوية وتأويلية، تمكن كل كاتب في مختلف المجالات التعبير عن آرائه[2]، فمع هذا الفيلسوف نلاحظ تزاوج التأويل مع تقنية النّقد بغرض الوصول إلى الفهم الصحيح للحقائق.

فهدف القراءة هو بلوغ الفهم الكامل بواسطة الذهن العقلاني والحس المشترك، ولا ينبغي التسليم بصحة أي شيء يستند إلى الإيمان، بل يجب الشك في كل الأشياء ولو مرة، فأصبحت القراءة علما يقارب بطرق عقلية وعلمية لبلوغ نتائج واضحة، وعن تمييز النص الإنجيلي عن النصوص الأخرى فيوضح قائلا:

"يعتمد اللاّهوت بشكل رئيسي على تفسير النص المقدس، وحفظ لنا التاريخ جهودا كبرى لاستخلاص القوانين المناسبة لتفسيره، ووقفت الهرمينوطيقا في موقع مهم لتعترف بأنها لا تستطيع وحدها حسم المسألة، فالنّصوص المقدسة هي عمل الله، ورغم وجود قواعد عدّة لتفسير الكتب البشرية،

1 – حساين دواجي غالي، المرجع السابق، ص33.

2 – المرجع نفسه، ص34.

غير أنها لا تفي بالغرض مع النّص المقدس، فهذا الأخير له نقده الخاص، فهناك أسرار ننقاد إليها عن طريق الوحي وليس الفلسفة، فله مترتباته الخاصة لذا يتطلب تفسيرا خاصا به"[1].

المبحث الثالث: الآراء الفلسفية حول الهرمنيوطيقا في العصرين الحديث والمعاصر.

1-هرمينوطيقا العصر الحديث:

من العرض السابق تدوينه يتضح لنا أن المستوى الدلالي **للهرمينوطيقا** لم يؤسس بعد لأي معنى فلسفي، غير أن بوادر اتساع المصطلح لدلالة جديدة ظهرت للعيان وهو دخول هذا المصطلح في دائرة البحث الفلسفي، مع الفليسوف الألماني **فريدرك شلايرماخر** (1768-1834) الذي جعل الفهم مركز الممارسة الهرمنيوطيقية، بتعريفه إياها "**فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم**"، إذ يرجع إليه الفضل في تأسيس **الهرمينوطيقا الحديثة**، بعمله على جعلها ذات دلالة منهجية تؤسس لنظرية الفهم الصحيح، للنص بكل أبعاده :الاجتماعية، السياسية، القانونية، التاريخية، الفلسفية، الأدبية، فعلى يد **شلايرماخر** تخلت **الهرمينوطيقا** عن مهمتها الأولية وهي متابعة المعنى لتصب جل اهتمامها على وضع القوانين والمعايير التي تضمن الفهم المناسب للنصوص أيا كانت في تحققها الملموس[2]، وصارت الهرمنيوطيقا منهج متكامل بغرض الفهم بعد أن كانت انكباب على المعنى وحسب.

فهو صاحب تعريف **الهرمينوطيقا** بأنها "فن الفهم"، عبر تحريره التأويل من كل عناصره العقدية والعرضية، فهي تحصل على نمط ملحق في تطبيقاتها الإنجيلية على وجه الخصوص، فالأعمال السائدة قبله هي أعمال الفيلولوجيين الذين يعدون امتداد للتراث الإغريقي كما كانت هناك محاولات للتفسير الديني **للعهدين القديم والجديد**، وهو ما دفعه إلى الدّعوة إلى الخروج من دائرة الهرمينوطيقا الخاصة المرتبطة بتأويل النّص الدّيني وحده، طمعا منه لتأسيس هرمينوطيقا عامة تنطلق من عمليات الفهم ذاتها باعتبارها وثيقة الصلة بالوجود الإنساني[3].

عليه صارت **الهرمينوطيقا** ليست فقط تأويلا للنصوص بقدر ماهي تقنية للفهم، وحده الفهم هو مهمة التأويلية.

---

1 - حساين دواجي غالي، المرجع السابق، ص34.

2 - معتصم السيد أحمد، مرجع سابق، ص24،23.

3 - حساين دواجي غالي، المرجع السابق،ص35.

كما قام "**شلايرماخر**" بتحوير السؤال من: **معنى النص؟** الذي كان مهيمنا على **الهرمينوطيقا الكلاسيكية**، إلى معنى الفهم؟ هذه الخطوة التي وصفها "**بول ريكور**" بأنه انقلاب كوبرنيكي في تاريخ **الهرمينوطيقا** على غرار الانقلاب الكوبرنيكي الكانطي في نظرية المعرفة[1]، فهنا نلاحظ تغير في مركزية البحث من الإنكباب على معنى النّص إلى الفهم نفسه.

يقول "شلايرماخر" "إنّ كل الفهم يتكون من اللّحظتين وفهم الكلام كما هو مستمد من اللّغة وكحقيقة في المفكر"، باختصار الفهم عنده يستلزم: اللّغة والمفكر، فلا يمكن أنّ يحدث تفاهم إذا لم يفكر المرء (يعني المفكر) وإن لم يكن لديه الكلمات التي يفكر بها، والممارسة النّاجحة للفنّ حسبه تقوم على موهبتين: موهبة اللّغة، وموهبة الأفراد، فنحن نحاول فك شيفرة الكلمات ومن ناحية أخرى نحاول قراءة العقل، فلا يتعين على المرء فقط تعلم قواعد اللّغة ولكن أيضا معنى الكلمات واستخدامها وبناؤها، هذا الأخير يقود المرء إلى سيكولوجية الشخص الذي يكون سياقه أوسع من الفرد ويمتد إلى المجتمع بأكمله وحتى عصر كامل[2].

وعلم التفسير عنده أنّه لفهم مؤلفك يجب أن تكون ماهر في لغته وأنّ تعرف شخصه قدر الإمكان، أمّا النّقطة الثانية في فلسفته هي: "فهم النّص يعني أنّ المرء قد فهم كل شيء والذي بدوره يعني أنّ أجزائه مفهومة والعكس صحيح، لا يمكن فهم جزء من النّص بشكل مستقل عن الأجزاء الأخرى دون فهم الكل والعكس صحيح، فميزة القارئ أنه يستطيع العودة إلى النّص مرار وتكرارا وبالتالي فإنّ فهمه ينمو مع كل قراءة وهو ما لخصه في مقولته" الفهم التام هو فهم للكلام أفضل مما يفهمه والمهمة هي فهم الكلام في البداية بنفس القدر ثم أفضل من مؤلفه"[3].

الفهم عنده هو بحث عن الشروط الخاصة الموضحة في التعبير الذي بلّوره هذا التصريح، فهرمينوطيقا "**شلايرماخر**" بنيت على التفرقة بين جانبين: جانب لغوي، وآخر نفساني **الأول:** يرجع إلى تقاليد اللغة التي كتب بها النص، **والثاني:** يرجع إلى فكر المؤلف ومقاصده ونفسيته[4].

---

1 – المرجع نفسه، ص37.

2 – Romualdo E. Abulad : what is hermeneutics, http://www. Kritike.org/journal/issue 2/abulad,vol 1, December, 2007, p16.

3– Ibid, p17.

4 – Ibid, p16.

عليه الهرمينوطيقا هي الوصول إلى فهم حقيقي لمقاصد المؤلف المبثوثة لنا عبر النص بتركيبه اللغوي.

فنظريته في واقع الأمر ترتكز على جانبين للفهم:

أ) الفهم النحوي لكل الأنماط الخاصة بالتعبيرات والأشكال اللغوية للثقافة التي أنتج فيها المؤلف نصه وكانت شرطا لتفكيره، فالتأويل اللّغوي هو فن إيجاد المعنى الدقيق لخطاب معين انطلاقا من وبمساعدة اللّغة.

ب) الفهم النفساني للذاتية المتفردة أو العبقرية الخلاقة للمؤلف وهو منهج التأويل النفسي الذي يعتمد على بيوغرافيا المؤلف، حياته الفكرية والعامة والدوافع التي اجبرته على الكتابة فهو بموقع النص في السياق التاريخي الذي ينتمي إليه.

فتأويلاته تقوم على أن النّص عبارة عن وسيط لغوي ينقل فكر المؤلف للقارئ، إذ يشير في جانبه اللّغوي إلى اللّغة بكاملها، ويشير في جانبه النّفسي إلى الفكر الذاتي المبدع، والعلاقة بينهما جدلية، وكلما تقدم النّص في الزمن صار غامضا لنا، وصرنا من ثم أقرب إلى سوء الفهم منّه إلى الفهم، فهو ينطلق لوضع قواعد الفهم من تصوره لجانبي النّص اللّغوي والنّفسي، ما يعني انتقالا من الحقيقة إلى المنهج-آليات إدراك المعنى[1].

رغم المفهوم الواسع **للهرمينوطيقا** الذي أوجده الألماني "**شلايرماخر**"، غير أنّها ظلت بعيدة عن دائرة البحث الفلسفي، في حين تقترب على يده إلى طبيعة البحوث المنهجية التي تحاول إخراج الإنسان من دائرة الفهم الخاطئ، إذ لم يهتم "**شلايرماخر**" بطبيعة الفهم وماهيته الذي يولجه إلى صلب البحث الفلسفي.

غير أن الأسس التي وضعها "شلايرماخر" في عملية الفهم الهرمينوطيقي، فتحت الباب أما تأسيسات أكثر شمولية واتساعا على يد الفيلسوف "**دلثاي**"(1883_1911) الذي جعل منها أساسا للمنهج المعرفي يعرف بالعلوم الإنسانية، فعمل إلى إخراج **الهرمينوطيقا** من مجال الفهم المحدود بإطار النّص إلى مجال الفهم المتسع لكل علوم الفكر، ماجعله صاحب المفارقة المنهجية بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية، لاعتقاد الوضعيين أنّ الخلاص الوحيد لتأخر العلوم الإنسانية عن نظيرتها

1 -حساين دواجي غالي، مرجع سابق، ص36،37،38.

الطبيعية يتمركز حول ضرورة تطبيق نفس المنهج التجريبي للعلوم الطبيعة على الإنسانية، سعيا للوصول إلى قوانين كلية يقينية[1].

فتأسيسه لهذه المفارقة قائمة على أنّ العلوم الطبيعية ذات سمة وصفية، عكس الإنسانية التي تتمحور حول المعنى والفهم، وهو ما أوضحه **أبو زيد** بقوله: "إن الفارق بين العلوم الاجتماعية والطبيعية، يكمن عنده في أنَّ مادة العلوم الاجتماعية – هي العقول البشرية – مادة معطاة، وليست مشتقة من أي شئ خارجها، مثل مادة العلوم الطبيعية التي هي مشتقة من الطبيعة"[2].

عليه صارت **الهرمينوطيقا** ذات دلالة فاعلة وحاضرة في كل فروع العلوم الإنسانية، بصفتها منهجا أكثر من كونها فلسفة محضة.

2- **هرمينوطيقا العصر المعاصر:**

والآن مع النقلة النوعية والكبيرة التي أدخلت "**الهرمينوطيقا**" إلى عالم الفلسفة، في القرن العشرين على يد "**مارتن هايدغر**"(1889-1976م) الذي أوجد لها كيان فلسفي، بل وأقام الفلسفة على أساس هيرمونيطيقي بحسب تعبير "**حامد أبو زيد**"، باعتبار أن الفلسفة هي فهم الوجود، عليه تصبح الهرمينوطيقا ملازمة لفلسفة "هايدغر" الوجودية سواء صرح بذلك أو أنكر، إذ بناؤه الفلسفي الوجودي يقوم على إدراك الوجود من خلال إدراك الوجود الإنساني، المتميز عن بقية الكائنات بحالة الوعي الوجودي، بحسب تعبيره التالي:

"هي كائنات تمتلك الكينونة بالطبع لكنها لا تعي ذلك، وحده الإنسان يعي كينونته وحده إذ يتجاوز كينونته نحو وجوده[3].

فاللّحظة التي يكون فيها الكلام عن الوعي والفهم هي ذات اللحظة التي يكون الحديث فيها عن الهرمينوطيقا، ومضمون البحث في فلسفته، يكمن في تأسيسه نظاما فلسفيا للفهم من خلال فلسفته الوجودية، وكذا البحث عن الدلالات الجديدة التي اكتسبها مصطلح الهرمينوطيقا على يده، بجعله ذي طبيعة فلسفية بامتياز[4].

---

1 – معتصم السيد أحمد، مرجع سابق، ص25.

2 – نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ط1(الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي،2014) ص14.

3 – أحمد براهيم: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر، ط1(بيروت : الدار العربية للعلوم،2006)ص70.

4-عاصم السيد احمد، مرجع سابق، ص26.

في المقابل سار على خطى "**هايدغر**"، الفيلسوف **غادامير**، عبر انتقاده المنحى الكلاسيكي للهرمينوطيقا الباحثة عن المنهج، وعمل على رسم مسار جديد يتناول عملية الفهم في ذاتها، ومسارها التاريخي إذ يؤكد "**غادامير**" على ضرورة تجاوز المناهج لتحليل عملية الفهم نفسها في فعالياتها وملابساتها التاريخية، مادامت كل المناهج بما في ذلك العلمية، تتأسس في العمق على التفكير التأويلي"[1].

فالجديد المقدم من طرف هذا الفيلسوف للمصطلح، ملاحظ في نضج المصطلح في بحوثه المتعددة، وعمل على تشكيل مدرسة هرمينوطيقية سعى لإبراز ملامحها.

ويمكن اختصار مجموعة الدلالات المرافقة للمصطلح منذ تشكله هي كالتالي:

-التفسير.

-نظرية تفسير الكتاب المقدس.

-علم المنهج اللّغوي نعلم الإدراك اللغوي.

-فن امتلاك كل الشروط الضرورية للفهم.

-أساس المنهج المعرفي للعلوم الإنسانية.

-الفهم الوجودي، أي فهم الفعاليات والملابسات التاريخية.

وهناك أيضا دلالات كالتي أوجدها "**بول ريكور**"، الذي جعل من الهرمينوطيقا من مختصات المعاني الكامنة في الأساطير والرموز[2].

خاتمة:

يمكن جمع أهم النّتائج التي تم التوصل إليها من خلال مختلف منعرجات هذا البحث، وذلك في شكل النّقاط التالية:

-الهرمنيوطيقا كمفهوم هي عملية تأويل النّصوص الدّينية المقدسة ومختلف النّصوص الاخرى التي تحتاج إلى تأويل/الفهم الذي تصل إليه حسب أعلامها فهما لا يدعي إمساكه للحقيقة وكشف الغموض إنّما تأويل ينتظر فهما آخر يكمل مسعاه في البحث عما هو أول النّص.

1 -عبد الكريم شرفي، مرجع سابق، ص 36.

2 - عصام السيد أحمد، مرجع سابق، ص26،27.

-إنّ النّشاط الهرمنيوطيقي بوصفه تفسيرا تمثل في الحضارات الأولى في محاولة فهم الوجود وتفسير النّصوص ذات الطابع الإلهي الأسطوري والمقدس أو مايعرف بالهرمنيوطيقا الدّينية ابتداءً من "فيلون السكندري و"أوريجين" وصولا إلى المرحلة القروسطية.

-إنتقل التأويل بعدها إلى مرحلة التفسير اللّاهوتي للكتاب المقدس المنّصب على فهم لغة النّص لإزالة اللّبس،وصارت الهرمنيوطيقا ليست سوى فرع من الدراسات الأدبية لا غير.

-ظل الفهم والتأويل للنّص الدّيني محتكرا في يد جماعة واحدة ما أدى إلى بروز التأويل ليشكل قطيعة معرفية ضد مايعرف بأحادية المعنى ودغمائية الفهم، والسعي إلى جعل التأويل علما قائما بذاته عبر تقديمه تقنية للفهم الصحيح تستند إلى النّص العقلاني وليس الإيمان فقط،ما يعني عدم قبول الهرمنيوطيقا كعنصر تابع للدراسات اللاّهوتية فقط.

-تميزت هرمنيوطيقا العصر الحديث بإدخال هذا المصطلح في دائرة البحث الفلسفي مع الألماني "فريدريك شلايرماخر" مؤسس الهرمنيوطيقا الحديثة المتخلية عن مهمتها الأولى وهي متابعة المعنى لتصب جلّ إهتمامها على وضع القوانين والمعايير التي تتضمن الفهم المناسب للنّصوص أيا كانت في تحققها الملموس ،غذ صارت لها دلالة فاعلة وحاضرة في كل فروع العلوم الإنسانية باعتبارها منهج أكثر من كونها فلسفة محضة.

-إنّ الدخول الحقيقي للهرمنيوطيقا في عالم الفلسفة كان في القرن العشرين على "مارت هايدغر" الذي أسس نظاما فلسفيا للفهم من خلال فلسفته الوجودية، واكسب الهرمنيوطيقا دلالات طبيعية فلسفية بامتياز، كما عمل "غادامير" على رسم مسار جديد يتناول عملية الفهم في ذاتها، وكذلك "بول ريكور" الذي جعل من المصطلح مختصات المعاني الكامنة في الأساطير والرموز.

وفي الأخير نختم ورقتنا البحثية هذه بأنّ النّص عالم فسيح الأرجاء والأركان يحوي بين طياته الزمان والمكان والتاريخ والذوات،فهو حمّال أوجه ومعان تتداخل على سطحه حضارات مختلفة وثقافات متعددة لذا يعدّ بحق عالما متفردا عن باقي العوالم، والهرمنيوطيقا فكر نشأ مع الفكر الدّيني وترعرع في أحضان الفلسفة كما تغذت الهرمنيوطيقا بمختلف المشارب الفكرية الغربية فقد أحدث روادها ثورة فكرية قلبت موازين المعتقدات السائدة بفضل الأسئلة التي مافتؤا يعرضونها.

قائمة المصادر والمراجع:

1- محمد شوقي الزين: الإزاحة والإحتمال، دط(الجزائر: الدار العربية للعلوم،2008).

2-هانس غيورغ غادامير: فلسفة التأويل والأصول،.

3 -يورجين هبرماس: الاخلاق والتواصل، ترجمة: أبو النور حمدي حسن ط1(الدر البيضاء:دار التنوير للطباعة،2006).

4-نصر حامد أبو زيد: إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ط1(الدار البيضاء: المركز الثقافي لمغربي،2014).

5-أحمد إبراهيم: إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هايدغر،ط(1بيروت:الدار العربية للعلوم،2006).

6-أحمد الواعظي: ماهية الهرمينوطيقا ،مجلة المحجة، لبنان، بيروت، العدد: ،2003.

7-حساين دواجي غالي: الهرمينوطيقا وإتيقيا التخاطب،رسالة دكتوراه منشورة،كلية:العلوم الإجتماعية،قسم:الفلسفة،وهران،الجزائر ،2012،2013.

8-دايفيد جاسبر : مقدمة في الهرمينوطيقا، ترجمة: وجيه قانصو،ط1(الجزائر: الدار العربية للعلوم،2007).

9-ريمة عسكراتتي:القراءة الهرمنيوطيقية للنص القرآني عند نصر حامد أبو زيد، رسالة دكتوراه منشورة، كلية:أصول الدين، قسم:الكتاب والسنة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر.

10-عادل مصطفى: فهم الفهم مدخل إلى الهرمنيوطيقا،ط1(القاهرة: رؤية للنشر،2007).

11-معتصم السيد أحمد: الهرمينوطيقا في الواقع الإسلامي، ط1(بيروت: دار الهادي،2009).

12 عبد الغني بارة: الهرمنيوطيقا والفلسفة،ط1(لبنان: الدر العربية للعلوم ناشرون،2008).

13- Featured essay : What is hermeneutics, vol1, n2 , kritike online journal of philosopy,2007

14 -André Lalande : vocabulaire technique et critique de la philosophie, vol1, ed6(quadrige, press universitaire de France,1988).

15- Richard E_ Palmer : Herméneutiques،publisher : North westen universty press usa،Edition:1969.